ابن سينا

الشفاء

المنطق

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٥ هـ ق

ابن سينا

الشفاء

المنطق

٥ - البرهان

تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى



نشر وزارة التربية والتعليم

الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٤ ق

الفهرس

صفحة

كتاب البرهان

المقالة الأولى

صفحة

المقالة الثانية

المقالة الثالثة

المقالة الرابعة

صفحة

تصدير

للدكتور ابراهيم مدكور

البرهان

باب هام من أبواب المنطق القديم ، وقل أن نجد له ذكرا فى الكتب المنطقية المعاصرة ، وما ذاك إلا لأن نظرية الاستدلال القياسى حلت محله وطغت عليه . وقد عنى به ابن سينا عناية كبرى ، فعرض له فى مختلف مؤلفاته المنطقية ، ووقف عليه القسم الخاص من منطق الشفاء . ولا نزاع فى أن هذا القسم أوسع مصدر عربى كتب فى البرهان ، وقد أخذ عنه مناطقة العرب اللاحقون دون استثناء ، وهناك ما يؤيد أنه امتد شىء من أثره إلى العالم اللاتينى .

ولكى يدرس ابن سينا البرهان كان لا بد له أن يوضح حقيقته ، ويشرح مبادئه ، ويحاول تطبيقه على العلوم المختلفة، وحول هذه النقط الثلاث تدور دراسته، ويكاد يتلخص "كتاب البرهان" الذى نصدّر له .

والبرهان عنده قياس يقينى مؤلف من يقينيات لإنتاج يقينى (١) فهو قياس ذو مقدمات خاصة يوصل إلى العلوم اليقينية (٢) . والأقيسة فى الواقع مراتب ، فمنها ما يوقع اليقين وهو البرهانى ، أو ما يوقع شبه اليقين وهو الجدلى أو المغالطى ، أو ما يوقع ظنا غالبا وهو الخطابى ، أو ما يوقع تخيلا تنبسط له النفس أو تنقبض وهو الشعرى (٣) . وكل تلك أقيسة تختلف فى المادة وإن اتفقت فى الصورة ، وتتفاوت فى المبادئ التى تقوم عليها .

وهذه القسمة الخماسية التى تخلط المنطق بالأدب تصعد إلى أصل أرسطى ، ذلك لأن المعلم الأول سبق إلى قسمة القضايا إلى يقينه ومحتملة ، وحاول تطبيق قياسه على الخطابة والشعر كما

---

(١) ابن سينا ، البرهان ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ ص ٧٨ — ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١ — ٥٢ .

طبقه على البرهان والجدل[١] . وقد اعتد بها فلاسفة الإسلام اعتدادا كبيرا، وعوّلوا عليها فى الحوار والمناقشة . وشاءوا أن يخاطب كل فريق بنوع الاستدلال الذى يلائمه ، فإذا كان الفلاسفة يستمسكون بالأقيسة البرهانية، فإن السياسيين ينبغى أن يقنعوا فى مخاطبة الجماهير بالأدلة الخطابية[٢] .

والبرهان ضربان : برهان لِمَ وهو ما كان الحد الأوسط فيه علة منطقية وطبيعية للنتيجة ، منطقية لأنه يستلزمها ، وطبيعية لأنه علة وجودها، مثال ذلك : هذه الخشبة باشرتها النار ، وكل خشبة باشرتها النار محترقة ، إذن هذه الخشبة محترقة[٣] . وبرهان إنَّ وهو ما ربط الطرفين أحدهما بالآخر، وكان منهما بمثابة العلة المنطقية فقط ، مثل : سقراط إنسان، وكل إنسان ناطق، إذن سقراط ناطق [٤] . وواضح أن هذه التفرقة بين برهان اللِّم ، وبرهان الإنّ إنما ترجع أيضا إلى مادة القياس لا إلى صورته ، وهى بدورها تفرقة أرسطية .

*
* *

ومبادئ القياس كثيرة ، يصعد بها ابن سينا إلى أربعة عشر صنفا ، أخصها المخيَّلات ، والمحسوسات ، والمجرَّبات ، والمتواترات ، والأوليّاتُ ،والوهميات ،والمشهورات ،والمسلمات والمقبولات والمشبّهات والمظنونات [٥] ، ويحللها مبدأ مبدأ ، مبينا خصائص كل واحد منها وأنسب موضع لاستعماله [٦] .

وتمتاز مبادئ البرهان بأنها يقينية ،أو بعبارة أخرى كلية وضرورية، فهى صادقة صدقا شاملا فى كل زمان ومكان[٧] . ولا تتوفر هذه الشروط فيما ذكرنا من مبادئ القياس إلا فى الأوليات والمحسوسات والمجربات والمتواترات [٨] .

*
* *

---

(١) Modkour. l'Organon d'Arisrtote dans le monde arabe, Paris. 1934.p. 13,193.

(٢) Ibid. p.232—232.

(٣) ابن سينا ، البرهان ؛ ص ١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

(٦) » » ، ص ٦٣ — ٦٧ ، ٦٨ — ٧١ .

(٧) » » ، ص ١١٧ .

(٨) » » ، ص ١٣٥ .

والبرهان هو السبيل القويم للاستدلال العلمى ، فبه تُمحَّص قضايا العلم ، ويُبيَّن صوابها وخطؤها . فلا تسمو التجربة إلى منزلته ، لأنها انما تنصب على بعض الجزئيات وكثيرا ماتخطىء [1] . ولا يصل الاستقراء إلى مستواه ، لأنه شبيه بالتجربة ، وكل مايؤدى اليه إنما هو ظن غالب [2] اللهم إلا إن كان استقراء كاملا ، وحين ذاك يكون بالقياس أشبه ، وهذه لغة لا تختلف عما قال به أرسطو .

على أن هذا رأى ابن سينا هنا ، أما فى الطبيعة والطب فيقف منهما موقفا آخر . ويدعو إلى الملاحظة الصادقة والتجربة المنظمة ، وكثيرا ما يستشهد على الرأى الذى يرتئيه بتجاربه الخاصة وملاحظاته الشخصية ، وفى اختياره للأدوية وتشخيصه للأدواء يضع طائفة من القواعد التى لابد أن يكون قد أفاد منها المنهج التجريبي الحديث [3] . ولعل فى هذا ما يفسر لنا الخلاف القائم حول الجديد فى منطقه ، فهناك من يرى أنه ذهب فى سن متأخرة إلى منطق جديد أهم مميزاته إحلال الحس المستمد من البحث العلمى والتجربة محل القياس النظرى [4] ، ومن يرى أن ليس فى الأمر جِدَّة وأن الشيخ الرئيس إنما حاذى منطق أرسطو فى ترتيب أكمل وعرض أوضح [5] .

ولاشك فى أن ابن سينا الفيلسوف والميتافزيقى لايكاد يسلم إلا بالبرهان والاستدلال القياسى ، أما ابن سينا العالم والطبيب فذو نزعة تجريبية واضحة مَهَّدَتْ لروجر بيكون ومن جاء بعده من أنصار المنهج التجريبي فى التاريخ الحديث ؛ إلا أن هذا — فيما نعتقد — لا يدعو إلى القول بأنه انتهى إلى منطق جديد ، بجانب منطقه القديم .

ولكل علم موضوعه الخاص به ، ومن هنا تنوَّعت العلوم وتعددت . بيد أن من بينها ما تباين موضوعه كالطبيعيات والرياضيات ، وما تقارب وتشابه كالحساب ، والهندسة [6] ، ولكل علم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

(٢) » » ، ص ٩٨ .

(٣) ابن سينا ، المدخل ، القاهرة ١٩٥٢ ، مقدمة ، ص (٣٣) .

(٤) الآنسة جواشون الكتاب الذهبي للمهرجان الألفى لذكرى ابن سينا القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٤٦ ، 58—41 .

(٥) عبد الرحمن بدوى ، البرهان من كتاب الشفاء ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤١ — ٤٤ .

(٦) ابن سينا ، البرهان ، ص١٥٧ .

مسائله (θέσεις) التى يدور حولها البحث ، ويقوم عليها الاستدلال [١] . إلا أنه ليس فى الامكان أن نبرهن على كل شىء ، وإلا أنكرنا العلم ، ووقعنا فى دور وتسلسل لا مخرج منهما ، فهناك « اللامبرهن » كما أن هناك «اللامعرف» ، لاسيما وليست كل معرفة سبيلها البرهان ، بل بعض مايعلم إنما يعلم مباشرة وبطريق الحدس دون واسطة [٢] .

لذا احتاجت البرهنة العلمية الى مبادئ (ἀξιωματα) أوضح وأعرف مما يبرهن عليه [٣] وهذه المبادئ إما عامة تصدق على كل برهان كمبدأ عدم المتناقض ، أو خاصة تصدق على علم أو طائفة من العلوم كقولنا : « الأشياء المساوية لشىء واحد متساوية » ، فهذا مبدأ يشترك فيه علم الهندسة وعلم الحساب وعلم الهيئة وعلم الموسيقى [٤] .

ومن أخص مبادئ العلم الحدود والتعريفات ، فهى فضلا عن أنها توضح الحقائق العلمية تمد الباحث بمصادرات (ἀιτημα) أو فروض (ὑποθεσις) يعوّل عليهـا فى البرهنة والاستدلال [٥] . ولهذا ربط ابن سينا نظرية الحد بنظرية البرهان ، واعتبر الجزء الخامس من منطق الشفاء كتاب البرهان والحد معا [٦] . وفى هذا الجزء يعرض للحد فى غير ما موضع ، ويكاد يقف عليه المقالة الرابعة والأخيرة منه [٧] . فيوازن بينه وبين البرهان [٨] ، ويبين وسائل الكشف عنه [٩] ، ومدى استخدام العلل فى تكوينه [١٠] .

* * *

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(٢) » » ص ١١٧ — ١١٨ .

(٣) » » .

(٤) » » .

(٥) » » ، ص ١٥٥ .

(٦) المصدر نفسه ص ١١٢ .

(٧) » » ص ٢٦١ — ٣٢٩ .

(٨) » » ص ٢٨٨ — ٢٩٥ .

(٩) » » ص ٣٠٦ — ٣١١ ؛ ٣١٩ — ٣١٧ .

(١٠) » » ص ٣٩٦ — ٣٠٥ .

ففى " كتاب البرهان " دراسات منطقية وأنتولوجية، وإبستمولوجية مستفيضة ، لم نحاول أكثر من أن نشير إلى عناوينها ، وتحت كل عنوان تفاصيل شتى ممتعة أحيانا ، ومضنية أحيانا أخرى ، وهى على كل حال جديرة بالبحث والدرس . وفى درسها ما يعين على فهمها على وجهها، وما يسمح بربطها بتطور علم المنطق عامة ، فيستبين ما كان لأرسطو وشراحه فيها من أثر، وما أضافه ابن سينا إلى ذلك من مجهود شخصى ،ويمكن أيضا أن نتتبع أثرها فى المدارس اللاحقة عربية كانت أو لاتينية ، شرقية كانت أو غربية ، ولا سبيل إلى هذا كله إلا بتحقيق " كتاب البرهان " أولا ، ونشره نشرا علميا صحيحا .

* * *

ويوم أن فكرت لجنة نشر " كتاب الشفاء " فى ذلك ، لم تجد أحدا أولى به من الدكتور أبو العلا عفيفى ، فله فى مضمار النشر والتحقيق خبرة قديمة ممتازة ، وفى علم المنطق بحث وتأليف[1] . وقد قبل مشكورا ما وكل إليه ، وبذل فيه جهدا صادقا ، وشغل به سنين عدة ، ولئن كان قد قنع بثلاث مخطوطات فقط اعتمد عليها فى إعداد النص المنشور ، فانه أحسن اختيارها ، فجاءت من خير ما وصلنا حتى الآن من مخطوطات " كتاب الشفاء" عامة ، و" كتاب البرهان " بوجه خاص . واستخلص منها نصا مختارا أثبت فيه مارجحه ، وأشار فى الهامش إلى ما يقابله من قراءات استضعفها ، على نحو ماأخذ به فى الأجزاء التى نشرت من " كتاب الشفاء" من قبل .

ويظهر أنه كشف فى مخطوط المتحف البريطانى مزايا لم تعرف من قبل[2] ، وعدَّه فى مرتبة تلى مرتبة مخطوط "بخيت" مباشرة[3] . وفى هذا مايؤيد ماذهبنا إليه سابقا من أنه لم يحن الوقت بعد للبت فى موضوع الصلة بين مخطوطات " الشفاء " المختلفة وعقد نسب بينها ، ولا يزال الأمر يتطلب مقارنات أخرى[4] .

---

(١) فى الوقت الذى كنا ننتظر فيه هذا التحقيق أخرج الدكتور عبد الرحمن بدوى تحقيقا آخر (البرهان من كتاب الشفاء ، القاهرة ١٩٥٤) على نحو وبوسائل تختلف عن تحقيقنا هذا ، وفى هذا ما يسمح بالموازنة بين القراءات التى أخذ بها كل من التحقيقين .

(٢) ابن سينا ، المدخل ، مقدمة ، ص ٧٦ .

(٣) « « البرهان ، مقدمة ص ١٦ .

(٤) « « المدخل ، مقدمة ، ص ٧٥ .

ويبدو بوضوح أن المحقق وضع نصب عينيه دائما " كتاب البرهان " لأرسطو ، وحاول أن يردَّ إليه نص الكتاب الذى اضطلع بتحقيقه ، وكشف عما بين الكتابين من اتفاق أو تباين ، ولاحظ بحق ، أن أخذ ابن سينا عن أرسطو يختلف درجة ونوعا ، فهو أقوى فى المقالتين الثالثة والرابعة ، وأضعف فى المقالتين الأولى والثانية (1) .

ولم يقنع بالنشر والتحقيق ، بل أضاف إليه مقدمة كبيرة عالج فيها منزلة " كتاب البرهان " ، وصلته ببرهان أرسطو ، ومنهجه ، وأسلوبه ، وعنى خاصة بتحليل مادته ، وبيان أصولها لدى أرسطو ، وفى هذه المقدمة الطويلة تحقيقات نافعة ، وملاحظات قيمة ، وإثارة لمشاكل هامة ، وحرص أيضا على أن يختم الكتاب بدليل وفهرس للأعلام ، فيسر النفع به وسهل على القراء متابعته .

وإذا كان نشر المخطوطات عملا مضنيا حقا ، فإنه إحياء لتراث ، وإخراج من عالم الظلمة إلى عالم النور ، وشرط أساسى لاستكمال الدرس والبحث ، وهو لهذا كله جدير بما يبذل فيه من عناء وجهد .

إبراهيم مدكور

---

(1) ابن سينا ، البرهان ، مقدمة ص ٤ .